نشأة علم الكلام ودوره في تقرير مسائل العقيدة

أ.م .د. ساجد صبري نعمان
الجامعة العراقية / كلية العلوم الإسلامية / قسم مقارنة الأديان
dr sagid1967@gmail.com

ملخص البحث

تهدف هذه الدراسة لبيان أهمية علم الكلام وأثره في تقرير مسائل العقيدة والدفاع عن العقيدة الإسلامية بو صفه حارساً لبوابة العقيدة الإسلامية.

وقد مر علم الكلام بأدوار مختلفة، وتأثر بعوامل عدة، تضافرت في نشأته وتطوره، وهو علم أصيل، ترجع أصول المسائل الاعتقادية التي يبحث فيها، إلى مسائل العقيدة الإسلامية بإيراد الأدلة وعرض الحجج على إثباتها، ومناقشة الأقوال والآراء المخالفة لها، وإثبات بطلانها، ودحض ونقد الشبهات التي تثار حولها، ودفعها بالحجة والبرهان. وعلم الكلام، هو: العلم الذي يبحث في إثبات العقائد الإسلامية بأدلتها اليقينية ودفع الشبه عنها.

الكلمات المفتاحية (علم الكلام ، نشأته ، أهميته، تقرير، مسائل العقيدة).

The emergence of theology and its role in determining matters of faith

D. Am. Sajid Sabri Nu'man

Research Summary

This study aims to demonstrate the importance of speech and its role in determining the doctrinal issues and defending the Islamic faith as being a guardian of the doctrine of the doctrine. The similarity was reported to the Qur'an and Sunnah. And the science of speech, is: science, which seeks to prove the Islamic beliefs evidence of certainty and pay similarity.

Keywords (theology, its origins, its importance, a report, matters of faith).

المقدمة

الحمد لله الواجب وجوده وبقائه الواسع جُودُهُ وعطائه القديم بره وإحسانه العميم قوله، المنزه في ذاته عن كل شبيه ومثال المتعالي في صفاته عن التغير والزوال والصلاة والسلام على رسوله الذي أرسله بالحق داعياً وللخلق هاديا محمد صل الله عليه وآله وصحبه أئمة الهدى ومصابيح الدجى..

وبعد فإن أجل العلوم وأعلاها وأوجدها على العاقل تحصيلاً وأولاها علم أصول الدين فعلم العقيدة يسمى علم أصول الدين وعلم الكلام، وعلم الكلام يعد بوصفه أبرز العلوم الإسلامية الذي يهتم بمبحث العقائد الإسلامية

وإثبات صحتها والدفاع عنها بالأدلة العقلية والنقلية. إذ يُعَدُّ – إلى جانب علم أصول الفقه – انعكاساً لمنهج التفكير الإسلامي، وتجلياً من تجلياته العقلية. فهو – في بعض مسمياته– علم النظر والاستدلال، وقد سمي بذلك لقيامه على القول بوجوب النظر العقلي عند كثير من المتكلمين، واشتغاله بآليات الاستدلال العقلية على المسائل الإيمانية. وهو علم يعنى بمعرفة الله تعالى والإيمان به، ومعرفة ما يجب له وما يستحيل عليه وما يجوز، وسائر ما هو من أركان الإيمان الستة ويلحق بها، وهو أشرف العلوم وأكرمها على الله تعالى، لأن شرف العلم يتبع شرف المعلوم لكن بشرط أن لا يخرج عن مدلول الكتاب، والسنة الصحيحة، وإجماع العدول، وفهم العقول السليمة في حدود القواعد الشرعية، وقواعد اللغة العربية الأصيلة. ويقوم علم الكلام على بحث ودراسة مسائل العقيدة الإسلامية بإيراد الأدلة وعرض الحجج على إثباتها، ومناقشة الأقوال والآراء المخالفة لها، وإثبات بطلانها، ودحض ونقد الشبهات التي تثار حولها، ودفعها بالحجة والبرهان.

أهمية الدراسة:

١. تصحيح النظرة الخاطئة لعلم الكلام عند بعض المسلمين.

٢. تمد المختصين في الدراسات عن علم الكلام بجملة من الحقائق التي شكلت علم الكلام .

٣. تساهم في الدفاع عن علم الكلام وبيان أهميته بين العلوم الشرعية.

أهداف الدراسة:

١. إماطة اللثام عن مثالب علم الكلام من حيث نشأته وتعريفه ومواقف العلماء منه.

٢. إثبات أصالة علم الكلام وصلته الوثيقة بالشرع، ومن ثم لا يصح ذم علم الكلام كلّه، لكونه شابته بعض الأمور التي قد يذم بها.

٣. أن تنصرف الجهود وتتركز نحو تنقية علم الكلام، والارتقاء به ليواكب العصر الحاضر ومستجدات الساحة الفكرية بما يخدم العقيدة الإسلامية والدعوة إليها.

٤. معرفة الضابط لما يعد من مسائل الاعتقاد مما ليس كذلك، والدليل عليه.

٥. معرفة الأصول الكلية الصالحة للاستدلال بأدلتها التفصيلية على مسائل الاعتقاد.

مشكلة الدراسة:

تعالج النظرة الخاطئة عن علم الكلام من بعض علماء المسلمين ومن بعض الذين ينظرون إلى علم الكلام بأنه علم غير شرعي وغير أصولي فيجب بيان أصالة هذا العلم وأهميته ومواقفه الثابتة في الدفاع عن العقيدة الإسلامية.

منهجية الدراسة وخطتها: اعتمدت هذه الدراسة على المنهجية العرض والدراسة.

اقتضى موضوع البحث، والمنهجية المتبعة فيها أن تكون مقسمة على: مقدمة ومبحثين وخاتمة، وعلى النحو الآتي:

المبحث الأول: تعريف علم الكلام ونشأته ومراحل تطوره.

المطلب الأول: تعريف علم الكلام لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: نشأة علم الكلام ومواقف العلماء منه.

المبحث الثاني: مشروعية علم الكلام ودوره في تقرير مسائل العقيدة.

المطلب الأول: مشروعية علم الكلام وصلته بالعلوم الشرعية.

المطلب الثاني: علم الكلام ودور في تقرير مسائل العقيدة.

الخاتمة والنتائج...

المبحث الأول

تعريف علم الكلام ونشأته ومراحل تطوره

المطلب الأول: تعريف علم الكلام لغة واصطلاحاً.

تعريف الكلام لغة: الكلام: "هو القول والكلام اي: اللفظ الدال على معنى يحسن السكوت عليه[١].

تعريف علم الكلام اصطلاحا بما عرفه العلماء: ومن أهم هذه التعريفات:

١- قال الجويني(ت٤٧٨هـ): في كتابه (الكافية في الجدل): "حقيقة علم أصول الدين: هي العلم بما يؤدي العلم بالله تعالى، وبصفاته، وبصفات رسله، وأحكام دينه، وهو العلم الذي غلب في عرف الاستعمال بتسميته بأنَّه: الكلام ، وربما سمي :علم الكلام". [٢]

٢- وعرفه عضد الدين الإيجي (ت ٧٥٦ هـ) قال: "علم يقتدر معه على إثبات العقائد الدينية بإيراد الحجج ودفع لشُّبه".[٣]

٣- قال الغزالي(ت٥٠٥هـ): "مقصوده : حفظ عقيدة أهل السنة، وحراستها عن تشويش أهل البدعة"، وقال أيضاً: "ومن يرى: هو محاجة الكفار ومجادلتهم، ومنه يتشعب علم الكلام المقصود لرد الضلالات والبدع، وإزالة الشبهات، ويتكفل به المتكلمون" فقال المتكلمون: هو علم الكلام إذ به يدرك التوحيد ويعلم به ذات الله سبحانه وصفات"[٤].

٤- قال سعد الدين التفتازاني: "الكلام هو العلم بالعقائد الدينية عن الأدلة اليقينية".[٥]

---

[١] معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا(ت:٣٩٥ه)، تحقيق، عبد السلام محمد هارون ،دار الفكر، بيروت، بلا طبعة، ١٣٩٩ه/١٩٧٩م، مادة(علم)، ٤/ ١٠٩- ١١٠،مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي(ت٦٦٦هـ)، ت: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، صيدا/بيروت، ط٥ ،١٤٢٠هـ/١٩٩٩م،ص٢١٧، لسان العرب، مادة(علم)،١٢/ ٤١٧،المصباح المنير، في غريب الشرح الكبير، أبو العباس أحمد بن محمد بن علي الفيومي الحموي(ت٧٧٠هـ)، المكتبة العلمية، بيروت، بلا طبعة وتاريخ، مادة(علم)،٢/ ٤٢٧، ٩٩- القاموس المحيط ، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت٨١٧هـ)، ت: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٨ ،١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، مادة(علم)، ص١١٤٠.

[٢] الكفاية في الجدل، أبو المعالى عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني ،(ت ٤٧٨ ه)، تحقيق، د. فوقية حسين، مطبعة البابي الحلبي وشركاؤه، القاهرة، سنة ١٣٩٩ه-١٩٧٩م،ص٢٨.

[٣] المواقف، عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي، الناشر ، دار الجيل ، بيروت، ط١، ١٩٩٧م، ص٧.

[٤] إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، تحقيق: محد رشيد رضا القباني، دار إحياء العلوم، بيروت، ط٢، ١٤٠٦ه/ ١٩٨٦م،١/ ١٤، المدخل إلى دراسة علم الكلام،، د. حسن محمود الشافي، إدارة القرآن والعلوم الإسلامية، كراتشي ، باكستان، ط٢، ١٤٠٢ه/ ٢٠٠١م، ص١٤.

[٥]شرح المقاصد، سعد الدين التفتازاني، دار الكتب العلمية، بيروت، سنة،١٩٨٩م،١/ ١٦٥، ١٠٨-لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، محمد بن أحمد السفاريني الحنبلي (ت١١٨٨هـ)، مؤسسة الخافقين، دمشق، ط٢ ،١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ٧٠/١.

إذا علم الكلام : "علم يقتدر معه على إثبات العقائد الدينية بإيراد الحجج ودفع الشبه" فهذا التعريف هو اوضح التعاريف لعلم الكلام.

سبب تسميته بعلم الكلام:

سمي بهذا الاسم للأسباب الآتية:

١- لأنه يورث قدرة على الكلام في الشرعيات كالمنطق في الفلسفيات.

٢- لأنه كثر فيه الكلام مع المخالفين مما لم يكثر في غيره.

٣- لأنه بقوة أدلته، كأنه صار "هو الكلام" دون ما عداه، كما يقال في الأقوى من الكلاميين هذا هو الكلام.

لأن الكلام أشهر أجزاء هذا العلم، أو أن صفة الكلام قد أثير حولها كثير من النقاش والجدال.

أ- أنه لا يتم تحقيقه في النفس غالبا إلا بالكلام.

ب- أنه يورث قدرة على الكلام في تحقيق الشرعيات وإلزام الخصوم.

لأن أبواب هذا العلم افتتحت بقول: الكلام في كذا، كقول الإمام الأشعري مثلا: "باب الكلام في القبر". وفي هذا يقول الإيجي: "وإنما سمي كلاما إما لأنه بإزاء المنطق للفلاسفة، أو أن أبوابه عنونة أولا بالكلام في كذا، أو لأن مسألة الكلام أشهر أجزائه، حيث كثر فيه التناحر والسفك، فغلب عليه، أو لأنه يورث قدرة على الكلام في الشرعيات مع الخصم" . وقال الشهرستاني موضحا لهذا الموضوع: "إما لأن أظهر مسألة تكلموا فيها وتقاتلوا عليها هي مسألة الكلام، فسمي النوع باسمها، وإما لمقابلتهم الفلاسفة في تسميتهم فنا من فنون علمهم بالمنطق، والمنطق والكلام مترادفان" .[١]

تسميات علم الكلام: سمي هذا العلم بتسميات متعددة منها:

١- **الفهة الأكبر:** تعد هذه التسمية (الفقه الأكبر)[٢] من أقدم الألقاب التي أطلقت على هذا الفن ، حيث ذكر أنّ (الفقه في الدين أفضل من الفقه في العلم، لأن الفقه في الدين أصل، والفقه في العلوم فرع، وفضل الأصل على الفرع معلوم). [٣]

٢- **علم النظر والاستدلال:** سمي بهذا الاسم لأنه يعتمد منهج النظر الفكري، والاستدلال العقلي وسيلة لإثبات أصول العقائد التي ثبتت بالنصوص الدينية.

٣- **علم التوحيد والصفات:** سمي بهذا الاسم لأن أشهر مباحثه، وأهمها، وأخطرها، مبحثا التوحيد والصفات الإلهية. ووجه تسميته بهذه الأسماء يتجلى فيما يلي:

٤- **علم العقائد،** سمي بهذا أخذا من عقد الحبل وغيره إذا أحكم بشدة؛ لأن العقائد جمع عقيدة بمعنى معقودة، ولأنه يتكفل ببحث العقائد الدينية، وإثباتها بالأدلة اليقينية، والدفاع عنها ضد العقائد والأفكار المخالفة لها .[٤]

---

[١] المصدر نفسه، ٧٢/١.

[٢] كتيب صغير، وقد شرح عدة شروح، وطبع عدت طبعات.

[٣] الفقه الأبسط (مطبوع مع العالم والتعلم، ورسالة أبي حنيفة إلى أبي عثمان البَتِّي) أبو حنيفة النعمان(ت:١٥٠ه)، تحقيق: زاهد الكوثري، مطبعة الأنوار، القاهرة، بلا طبعة، ١٣٦٨ه، ص٤٠.

[٤] شرح العقائد النسفية، سعد الدين التفتازاني، دار الكتب العلمية، بيروت، سنة١٩٨٩م،ص١٤،المواقف وشرحه ،الجرجاني، ص١٦.

٥-**علم الكلام:** اشتهر بهذا الاسم لعدة أسباب أهمها:[١]

١- إن أهم مسألة وقع الخلاف فيها، واشتد النزاع فيها في القرون الأولى كانت مسألة (كلام الله) هل هو أزلي قائم بذاته، أم مخلوق حادث؟ فسمي العلم بأسم أهم مسألة فيه.

٢- أو أنه يتحقق بالمباحثة وإدارة الكلام بين الجانبين، وغيره قد يتحقق بالتأمل ومطالعة الكتب.

٣- لعل أوجه الأسباب أن أصحابه (المتكلمين) تكلموا فيما كان السلف من الصحابة والتابعين فيه. فالكلام ضد السكوت، والمتكلمون كانوا يتكلمون حيث ينبغي الصمت اقتداءً بالسف الذين لم يخوضوا في المسائل الاعتقادية إلا بحد ضيق.

٤- سمي بهذا الاسم لأنه أصل المعارف الدينية لا بتنائها عليه وتفرعها عنه، ولأنه يتكفل ببيان ما يعتبر من أصول الدين وأركانه التي لا يتم إيمان بدونها. مقابل علم الفقه الذي يتكفل ببيان الفروع العملية للدين، ومقابل علم الأخلاق والتصوف الذي يعنى بجانب السلوك والأخلاق على أساس من الذوق الروحي والوجدان القلبي. وقد استعمل العلماء والباحثون قديماً وحديثاً هذه التسمية (العقائد، والعقيدة، والاعتقاد) ونحو ذلك من مشتقات: (عقد)، لقباً لهذا الفن.[٢] ولذا أثرت أن أكتب عن علم الكلام لسعته لكل هذه العلوم الشرعية.

المطلب الثاني

نشأة علم الكلام ومواقف العلماء منه

لم ينشأ علم الكلام دفعة واحدة ، ولم يكن نتيجة سبب بعينه، بل تأثَّر بعوامل عدة، تضافرت في نشأته وتطوره إلى علم مستقل بذاته، اعتاد الباحثون إجمالها بنوعين من العوامل:

الأول: عوامل ذاتية (داخلية)، انبعثت من الإسلام نفسه ومن داخل الجماعة الإسلامية، تتمثل في النصوص الشرعية المتعلقة بمسائل الاعتقاد والخلاف في تفسيرها، والخلاف في الموقف من المشكلات التي ظهرت على الساحة الإسلامية، مما لم يكن على عهد النبي كالخل السياسي الحادث في مسألة الإمامة، وهو وإن كان سياسياً في منشئه، إلا أنّه تطور فأصبح خلافاً عقائدياً، وكالخلاف في مسألة مرتكب الكبيرة، وغير ذلك.

والثاني: عوامل خارجية، نتجت عن انفتاح الإسلام على حضارات وديانات الأمم الأخرى شرقية وغربية، واختلاط المسلمين بأهل تلك الحضارات أو من انتقلت إليهم تلك الحضارات، مما أوجد صراعاً عقائدياً، ونشاطاً فكرياً، أسهم في نشأة علم الكلام وتطوره، حتى صار على الحال التي نراه عليها في تاريخ الفكر الإسلامي.[٣]

---

[١] تمهيد تاريخ الفلسفة الإسلامية، مصطفى عبد الرازق، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة،١٣٦٣هـ/١٩٤٤م، ص٢٦٧، مذاهب الإسلاميين، عبد الرحمن بدوي، ط١، دار العلم للملايين، بيروت،١٩٧٨م،٢٨/١.

[٢] شرح العقيدة الطحاوية للبابرتي، محمد بن محمد بن محمود للبابرتي(ت:٧٨٦ه)، ط٦مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ١٤٠٨هـ، ص٢٣، لوامع الأنوار، ٧٠/١.

[٣] ينظر، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، علي سامي النشار ، دار المعارف، القاهرة،ج١،ط٩،ج٣-٢،ط٨، بلا تاريخ، ٥٩/١- ٦٣. في الفلسفة الإسلامية (منهج وتطبيق)، د. ابراهيم مكدور، دار المعارف، القاهرة، ط٢، بلا تاريخ،٣٠/٢. علم الكلام وبعض مشكلاته، د. أبو الوفا الغنيمي التفتازاني، دار الثقافة، القاهرة، بلا تاريخ،ص٦- ٧. أصالة علم الكلام ، د. محمد صالح محمد سعيد، دار الثقافة، القاهرة، بلا طبعة، ١٩٨٧من ص٢- ٧. الفرق الكلامية الإسلامية مدخل ودراسة، د. علي عبد الفتاح المغربي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٢، ١٤١٥ه/ ١٩٩٥م، ص٤٦. المدخل إلى دراسة علم الكلام، ص٤٧، تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام، د. محمد

وفي ضوء ما سبق فإن العامل الداخلي أو الذاتي لنشأة علم الكلام وتطوره، يتمحور حول أثر النَّص الشرعي والمشكلات الأولى، أما العامل الخارجي فيتمحور حول التقاء الإسلام بالديانات والحضارات الأخرى؛ لذلك يمكن إجمال العوامل التي أثَّرت في نشأة علم الكلام وتطوره في ثلاث عوامل رئيسة تتفرع عنها سائر العوامل الأخرى، وهي:

١_ النص الشرعي (الكتاب والسنّة).

٢- المشكلات الأولى .

٣- التقاء الإسلام بالديانات والحضارات الأخرى.

أولا: أثر النّصّ الشّرعي في نشأة علم الكلام وتطوره:

حظي الكتاب والسنة بالاهتمام البالغ من قبل المسلمين، ولا غرابة إذ هما المصدران الأساسيان اللذان يستقى منهما الإسلام، عقائده وأحكامه؛ لذا نجد أنَّه ما من دعوى ظهرت في الفكر الإسلامي، حقاً كانت أم باطلاً، صواباً أم خطأ، إلا وتلمست السند لها من كتاب الله تعالى وسنة رسوله محمد(ص)، وهذا يفسر ما للنص الشرعي، لا سيما القرآن الكريم، من أثر لا يمكن إنكاره على الدراسات الكلامية، سواء في بوادرها الأولى، أم في مراحل نموها اللاحقة، وذلك من نواحٍ عدة، أبرزها: مشروعية النظر العقلي، وبيان العقائد الإسلامية، واحتمالية النص وإمكانية تأويله، ومناقشة العقائد والأفكار الباطلة، وفيما يأتي ذُكر موجز لهذه النواحي:

أ: دعوة النصوص الشرعية للنظر العقلي:[١] كثيراً ما يجد الإنسان نفسه أمام أسئلة ملحة لا يستطيع أن يدفعها عن نفسه، ولا يملك إلا أن يفكر فيها، فيسعى إلى تقديم جواب لها، ومن جملة ذلك التساؤل عن أصل العالم وخالقه، وخلق الكون والإنسان، ومصيرهما، وهل الإنسان مجبر أو مختار، والموت وما بعده، ...؟ وغير ذلك من التساؤلات التي تدفع العقل البشري إلى البحث والتأمل طلباً للأجوبة الشافية عن هذه التساؤلات الملحة. وبإزاء ذلك نجد أن الإسلام لم يتجاوز هذه الحقيقة، فرفع القرآن من شأن العلم والتعلم والعلماء، حتى كان في أوائل ما نزل منه ما يشير إلى ذلك، قال تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾[٢] ورفع من شأن العلماء فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[٣] .وفي الحديث: عن أبي الدرداءτ قال سمعت رسول الله(ص) يقول: ((من سلَك طَرِيقاً يطْلُب فيه علْماً سلَك اللهُ بِه طَرِيقًا إِلَى الْجنة ، وإِنَّ الْملائكَةَ لَتضع أَجنِحتها رِضاً لطَالبِ الْعلْمِ، وإِنه لَيستغفر لِلْعالمِ من في السماوات والأَرضِ، حتى الْحيتانُ في الْماءِ، وفَضلُ الْعالمِ علَى الْعابِدِ كَفَضلِ الْقَمرِ علَى سائرِ الْكَواكبِ، إِنَّ الْعلَماءَ هم ورثَةُ الأَنبِياءِ، لَم يورثُوا دِيناراً ولا درهما، وإِنما ورثُوا الْعلْم ،فَمن

أبو ريان، دار المعارف الجامعية، بلا طبعة وتاريخ، ١/ ٢١٩- ٢٢٥. علم الكلام ومدارسه، د. فيصل بدير عون، دار الثقافة، القاهرة، بلا طبعة وتاريخ، ص٣٧. في علم الكلام (المعتزلة) ، د. أحمد محمود صبحي، دار النهضة العربية، بيروت، ط٥، ١٤٠٥ه/١٩٨٥م، ١/٣٠- ٣٨.

[١] ينظر، ضحى الإسلام ، أحمد أمين ، مكتبة النهضة العربية،ط٧،بلا تاريخ، ٣/ ١- ٤. في علم الكلام (المعتزلة)،١/٢٤- ٢٨، مدخل إلى علم الكلام، ص٤٣- ٤٨، علم الكلام ومدارسه، ص٣٨- ٤١- ٤٣، الفرق الكلامية، علي عبد الفتاح المغربي، مكتبة وهبة، ١٤١٥-١٩٩٥، ط٢، ١٩٩٩، ص٤٦- ٥٤، المدخل إلى دراسة علم الكلام، ص٤٩.

[٢] سورة العلق : الآية ١ .

[٣] سورة فاطر: من الآية ٢٨ .

أَخذَ بِه ،أَخذَ بِحظٍّ وافرٍ))[١] ولما كان التفكر والنظر والتدبر والبحث والتأمل، من أبرز وسائل تحصيل العلم لدى الإنسان، نجد أن القرآن الكريم قد تضمن العشرات من الآيات التي تدعو لذلك، فقال تعالى:ﱡالَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﱠ[٢] ، ونعى على الذين لا يعملُون عقولهم، وجعلهم في مرتبة البهائم، بل هم أضل، فقال تعالى: ﱡ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﱠ[٣] وبين أن الغاية من ضرب الأمثال هو التعقّل، فقال تعالى: ﱡوَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﱠ[٤] وقد تكرر في سياق الآية القرآنية ذكر التدبر، والتفكر، والتعقل، وفي كل هذه الألفاظ دلالة على وجوب إعمال العقل .

ب- وأما في السنة: جاءت الدعوة للتفكير في آيات الله وفي بديع خلقه، والنهي عن التفكير في ذات الله تعالى، فعن أبي ذرτ عن النبي (ص) قال: ((تفكَّروا في خلْقِ اللَّه ،ولا تفكَّروا في اللَّه))، وهذا النهي قد يرجع إلى قصور الإنسان عما هو خارج نطاق إدراكه العقلي، فالعقل الإنساني يفكر على أساس ما لديه من صور حسية مدركة من العالم المحسوس الذي يعيش فيه، فإذا حاول أن يفكر فيما هو في عالم الغيب فإنه سيضل ويهلك؛ لذلك هو عاجز عن إدراك الغيب إلا بفضل الله تعالى عن طريق الوحي. إلى غير ذلك من نصوص الكتاب والسنة، الداعية للنظر والتفكر والتدبر في مخلوقات الله تعالى وآياته، والخطاب فيها موجه إلى الإنسان وقواه العاقلة، ليكون الإيمان بالله تعالى عن بينة، ولتطمئن القلوب بالحنفية السمحة، وهو ما كان عاملاً فاعلاً في بحث العقائد الإسلامية، ومن ثم في نشأة علم الكلام وتطوره.

ثانيا: نشأة علم الكلام ومراحل تطوره في ضوء عامل المُشكلات الأولى:

فضلاً عما أدت إليه هذه المشكلات من البحوث العقدية، التي أسهمت في نشأة علم الكلام وتطوره، فإنَّه لا يخفى دورها البارز في نشوء الفرق التي وإن كان بعضها بدأ بداية سياسية، إلا أنَّها لم تلبث أن أخذت طابعاً عقدياً، ومن رحم هذه الفرق ظهرت فرق أخرى، فظهرت المعتزلة[٥] "على أثر الموقف من مرتكب الكبيرة، ثم تطورت أفكارها وآرائها، رأي الجهمية في نفي الصفات وخلق القرآن، والموقف من الجبر والاختيار من القدرية

---

[١] صحيح البخاري،(الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسولρ وسننه وأيامه) ، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي(ت٢٥٦ه) ، تحقيق، حمد بن زهير ناصر الناصر، ترقيم: فؤاد عبد الباقي، تعليقات، د. مصطفى ديب البغا، دار طوق النجاة، بيروت، ط١، ١٤٢٢ه، ١/ ٢٤.

[٢] سورة آل عمران: من الآية ١٩١.

[٣] سورة الأعراف: الآية ١٧٩.

[٤] سورة العنكبوت: الآية ٤٣.

[٥] الفرق بين الفرق، أبو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي التميمي الإسفراييني(ت٤٢٩هـ)، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط٢ ،١٩٧٧م، ص١٥- ٩٨، التبصرة في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين ، أبو المظفر الإسفراييني (شهفور بن طاهر بن محمد) (ت٤٧١هـ)، ت: كمال يوسف الحوت، عالم الكتب، بيروت، ط١،١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ص٦٧-٦٨، الملل والنحل، محمد بن عبد الكريم الشهرستاني (ت٥٤٨هـ)، ت: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، بلا طبعة، ١٤٠٤هـ. ٤٧/١.

الأولى،[١] وإن وكذا تفرع عن عقيدة التشبيه كانوا لم يطبقوا على نفي علم الله السابق، كما فعلت القدرية الأولى، وغير ذلك من الفرق.

فضلاً عن والتجسيم فرق والمنصورية[٢]، والكرامية[٣] وأمثالها، السواد الأعظم من المسلمين وعلمائهم الذين أصبح يطلق عليهم فيما بعد: (أهل السنة والجماعة)".[٤]وتغير الحال بعد استشهاد الخليفة عثمانτ عام (٣٥هـ)"،[٥] فقد حصل انتقال نوعي في نشأة علم الكلام ومراحل تطوره، إذ ما لبثت أن تحولت الخلافات السياسية والمشكلات الأولى إلى خلافات حول مسائل عقدية، فكانت الأساس الذي تشعبت منه الفرق الكلامية الأولى، مما سجل بداية مرحلة جديدة في نشأة علم الكلام وتطوره، إذ بدأت البحوث العقلية الجدلية فيها تأخذ حيزاً أكبر مما كانت عليه قبل استشهاد الخليفة عثمان بن عفانτ وتستمر هذه المرحلة حتى أوائل القرن الهجري الثاني.[٦]

ثالثاً: أثر التقاء الإسلام بالحضارات الأخرى في نشأة علم الكلام وتطوره:

لم تقتصر عوامل نشأة علم الكلام وتطوره على النص الشرعي والمشكلات السياسية والعقدية الأولى فحسب، بل هناك عامل ثالث، ألا وهو: التقاء الإسلام بالديانات والحضارات الأخرى؛ ذلك أن علم الكلام لم يبقَ على بساطته الأولى، وإنّما لحقه التطور؛ "لأن المسلمين بدأوا يواجهون مشكلات أكثر تعقيداً، سواء في تفاصيل تتعلق بالمشكلات الأولى، أم في مشكلات جديدة، ويرجع ذلك إلى اتصال المسلمين بالديانات والحضارات الأخرى، نتيجة للفتوحات الإسلامية، في الشام، والعراق، ومصر، وبلاد فارس، والهند ...، وقد كان لهذا العامل أثر كبير، لا يقلُّ شأناً عن العاملَين المتقدمين: (النَّص الشرعي والمشكلات الأولى)، بل يفوقهما؛

---

[١] درء تعارض العقل والنقل، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (تـ٧٢٨هـ)، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، جامعة محمد بن سعود الإسلامية، السعودية، ط٢ ،١٤١١هـ/١٩٩١م.٥/٢٤٤- ٢٤٥، البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، تحقيق، علي شيري، دار إحياء التراث العربي، ط١، سنة، ١٤٠٨، هـ - ١٩٨٨م، ٢١/١٠،مناهج السنة النبوية، في نقض كلام الشيعة القدرية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (تـ٧٢٨هـ)، تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة حمد بن سعود الإسلامية، السعودية، ط١٤٠٦،١هـ/١٩٨٦م ٢/ ٢٥١، البداية والنهاية، ابن كثير إسماعيل بن عمر الدمشقي (ت: ٧٧٤ه)،- دار الفكر بيروت، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م ١٠/ ٢١، تاريخ ابن خلدون (المسمى: ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر)، عبد الرحمن بن خلدون الحضرمي (تـ٨٠٨هـ)، ت: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط٢ ،١٤٠٨هـ/١٩٨٨م،٣/ ٣٤٥.

[٢] المنصورية: هم أتباع أبي منصور العجلي، زعم أنه إمام حين تبرأ منه الباقر وطرده، ثم زعم بعد وفاة الباقر أن روحه انتقلت إليه، وله كثير من المزاعم. منها أنه عرج به إلى السماء. ومنها أن الكِسْف الساقط من السماء هو الله أو علي. ومنها أن الرسالة لا تنقطع. ومنها تسمية الجنة والنار، وأنواع التشريع بأسماء رجال لإسقاط التكاليف، واستحلال الدماء والأموال، وقد أخذه يوسف بن عمر الثقفي والي العراق أيام هشام بن عبد الملك، وصلبه لخبث دعوته، وهم صنف من الحزمية، الفرق بين الفرق، ابي منصور عبد القاهر البغدادي، دار الفكر بيروت، ١٩٨٠، ص١٨٦.

[٣] ة الكرامية: هي فرقة كلامية تنتسب إلى الإسلام، ظهرت في النصف الأول من القرن الثالث الهجري. والكرامية نسبة إلى مؤسسها وصاحبها الأول محمد بن كرام السجستاني، ويعد قوله في الإيمان أشهر أقواله البدعية، حيث زعمت الكرامية أن الإيمان "هو القول باللسان دون المعرفة بالقلب، فمن نطق بلسانه ولم يعترف بقلبه فهو مؤمن، وزعموا أن المؤمنين كانوا مؤمنين بالحقيقية"، عقائد الثلاث والسبعين فرقة، لأبي محمد اليمني: (٢٧٥/١)

[٤] مقالات الإسلاميين، ١/ ١٦٥، وما بعدها الفرق بين الفرق، ص٢١٤١- ٢١٦، التبصرة في الدين،ص١١٢.

[٥] تاريخ ابن خلدون، ٣/ ٣٤٧- ٣٤٩.

[٦] تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية، مصطفى عبد الرازق، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة،١٣٦٣هـ/١٩٤٤م. ص٢٨٣- ٢٨٧،

ضحى الإسلام ، أحمد أمين، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط٧ ،بلا تاريخ ، ٣/ ٤- ٧، علم الكلام وبعض مشكلاته ، د. أبو الوفا التفتازاني، دار الثقافة، القاهرة، بلا طبعة وتاريخ ص١٣- ١٩، علم الكلام ومدارسه ، د. فيصل بدير عون، دار الثقافة، القاهرة، بلا طبعة وتاريخ، ص٤٦، الفرق الكلامية، ص٥٤-٥٨.

لِتسرب أفكار ومعتقدات هذه الديانات والحضارات إلى المجتمع الإسلامي، سواء على مستوى الأفراد أم الفرق، الذي دفع العلماء إلى اتخاذ مواقف بإزائها من حيث الردود العقلية والنقلية لدحضها وبيان بطلانها ومخالفتها للإسلام، وفضلاً عن ذلك فقد دخل الإسلام الكثير من أهل الديانات والحضارات في البلاد المفتوحة"[١].

رابعاً: ترجمة علوم وفلسفات الديانات والحضارات الأخرى:[٢]

بعد ما حصل من الاحتكاك والصراع الفكري بين المسلمين وأصحاب الديانات والحضارات في البلاد المفتوحة، وما كان من دور الذي تسربلوا بالإسلام ولم يخالط قلوبهم، كان هناك محور ثانٍ في عامل التقاء الإسلام بالديانات والحضارات الأخرى، أسهم بشكل فاعل في نشأة علم الكلام وتطوره، ألا وهو: "ترجمة علوم وفلسفات الديانات والحضارات في البلاد المفتوحة، إلى اللغة العربية، فقد عرفت البلاد التي فتحها المسلمون في الشام، والعراق، ومصر، وبلاد فارس، العلوم والفنون في المجالات المختلفة، من الطب والحساب والفلسفة والمنطق والفلك، وكذلك عرفت هذه البلاد المعارف اليونانية قبل وصول الإسلام إليها، لاسيما الأفلاطونية الحديثة وكانت هناك أيضاً مدرسة الإسكندرية ومكتبتها، التي امتد نشاطها إلى وقت فتح المسلمين لمصر".[٣]

أصالة علم الكلام: كشفت دراسة عوامل نشأة علم الكلام وتطوره، أصالة علم الكلام، سواء من حيث مجمل المسائل الاعتقادية التي يبحث فيها، أم من حيث رد الشبه وبيان بطلانها، إذ ظهر أن أصول مسائله ترجع إلى الكتاب والسنة، كما ثبت أن رد الشُبه وبيان بطلانها، والتصدي للخصوم العقديين من مهمات الدين، ومن ثم فإن تعرض علم الكلام لمؤثرات داخلية وخارجية، جعلت بعض الفرق تشطّ عن الحق، لا يصح أن يكون سبباً في نفي الأصالة عنه، كما لا يمكن أن ننفيها عن علم الحديث؛ لأن هناك من وضع الحديث، أو لأن هناك من صنف فيه وأدخل موضوعات أو أحاديث واهية، وكذلك لا يمكن أن ننفي الأصالة عن الفقه وأصوله؛ لأن هناك من أدخل المنطق فيه ، أو لأن هناك من اعتمد فيه أصولاً غير معتبرة، أو آراء شاذة، وهكذا بقية علوم الشريعة، لا يكاد يخلو علم منها ممن أساء فيه، لاسيما إذا أخذنا بعين الاعتبار اختلاف الآراء والاجتهادات.

موقف العلماء من علم الكلام: انقسم العلماء في مواقفهم تجاه علم الكلام، على فريقين: فذهب فريق إلى ذمه وعدم مشروعيته، وذهب الآخر إلى مدحه والقول بمشروعيته، واحتج كل فريق منهما بأدلة من الكتاب والسنة، وأورد كل منهما آثاراً وأقوالاً عن الصحابة والتابعين فمن بعدهم من العلماء، لدعم رأيه ومذهبه.

وفيما يأتي توضيح ذلك :

الفريق الأول: حُجّة القائلين بعدم مشروعية علم الكلام: نُسب هذا الرأي إلى جماعة من الصحابة والتابعين، وطائفة من علماء الأمة المشهود لهم بالعلم والفضل، كالإمام جعفر الصادق، وأئمة المذاهب الأربعة، ومن أقدم

---

[١] البداية والنهاية، ١٠/ ٢٢.

[٢] نحى أغلب المعاصرين، ممن اطلع الباحث على كتاباتهم في هذا الموضوع، إلى اعتبار ترجمة الفلسفة اليونانية عاملاً مستقلاً من عوامل نشأة علم الكلام وتطوره، والصواب هو أن الترجمة هي محمور من محاور العامل الثالث: التقاء الإسلام بالديانات والحضارات الأخرى، وليست عاملاً مستقلاً برئسه، كما أن الترجمة لم تكن وسيلة لنقل الفلسفة اليونانية فحسب، بل نقل بها أيضاً معارف الفرس والهند.

[٣] تاريخ الفكر الفلسفي،٣٢٥/٢، المعجم الفلسفي، د. جميل صليبيا، دار الكتب اللبناني، بيروت، بلا طبعة، ١٩٨٢، ٣٩٥/١، (موقع الموسعة الحرة (ويكي بيديا): http://ar. Wikipedia.org).

ما صنف في ذم الكلام رسالة:(الغنية عن الكلام وأهله)[١]، لأبي سليمان الخطابي (ت٣٨٨هـ)، وممن تعرض لعلم الكلام والمتكلمين بالذم :ابن قتيبة الدينوري (ت٢٧٦هـ)، في كتابه: (تأويل مختلف الحديث)[٢]، وفي: (جامع بيان العلم وفضله)، لابن عبد البر (٤٦٣هـ) بعض المباحث في ذلك، ومنها: (ذم الكلام وأهله)[٣]، لأبي إسماعيل الهروي (ت٤٨١هـ)، وهو أكثرها شهرة وأوسعها تصنيفاً في هذا الباب، ومنها: كتاب) (الحجة في بيان المحجة)، لأبي القاسم الأصبهاني (ت٥٣٥هـ) في عدة مباحث منه.[٤] استدل أصحاب هذا المذهب بنصوص من الكتاب والسنة، فضلاً عما استشهدوا به من آثار عن جماعة من الصحابة والتابعين، وأقوال جماعة من العلماء شملت حتى من عرف عنه الاشتغال بعلم الكلام، وفيما يأتي بيان ذلك:

الأدلة النقلية التي استدل بها على ذم علم الكلام:

استدل أصحاب هذا المذهب على ذم علم الكلام بنصوص من الكتاب والسنة، من حيث دلالتها على وجوه من الذم ذهبوا إلى تحققها في علم الكلام، ويمكن إجمال تلك الوجوه بالآتي:

يرى أصحاب هذا المذهب أن الخوض في علم الكلام فيه تَنْطُّع وتكلُّف في السؤال، وبحث في أمور لم يرد الشرع بالخوض فيها، بل نهينا عن ذلك وأمرنا بالتسليم والانقياد،[٥] واستدلوا على ذلك بالقرآن والسنة: من القرآن الكريم، ما استدلوا به قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾[٦] فالآية فيها نهي عن التكلف في السؤال، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[٧].

وأما السنة النبوية: وعن سعد ابن أبي وقاص τ قال: قال رسول الله (ص): ((إِنَّ أَعظَم الْمسلمين في الْمسلمين جرماً، من سأَلَ عن شيءٍ لَم يحرم علَى الْمسلمين ،ف ـَحرم علَيهِم من أَجلِ مسأَلَته))[٨] وعن المغيرة بن شعبة عن النبي (ص) قال: ((إِنَّ اللَّه حرم علَيكُم عقُوق الأُمهات ، ومنعا وهات ، ووأْد البنات ، وكَرِه لَكُم : قيل وقَالَ، وكَثْرَةَ السؤالِ، وإِضاعةَ المَالِ))[٩]، وفي هذا نهي عن التكلُّف في السؤال وكثرته. ووجه استدلالهم بهذه النصوص، أنَّنا نُهينا عن التكلف في السؤال وكثرته، وعن الخوض والمحاجة والمناظرة في شأن الرب عز وجل بالمعقول، وذلك كلّه واقع في علم الكلام.

---

[١] رسالة مطبوعة محققة منها، وذكر أكثرها أبو القاسم الأصيهاني (ت:٥٣٥ه) في كتابه(الحجة في بيان المحجة)،١،٤٠٢ـ ٤٠٨، سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي(ت٧٨٤ه)، ،طبعة مؤسسة الرسالة،١٩٨٩م ، ٢٦/١٧،ومن المعاصرين ذكرها، معجم المؤلفين، عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني،(ت ١٤١٨هـ)،طبعة، دار إحياء التراث العربي بيروت، سنة، ١٩٦٧ م، ٧٤/٤.

[٢] تأويل مختلف الحديث، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ)، طبعة، لمكتب الاسلامي - مؤسسة الإشراق، ط٢، ١٤١٩ه- ١٩٩٩م، ص٦١- ١٠٢، ١١١- ١٢٣.

[٣] وهو أحاديث انتخبها المصنف مما استدل به أبو عبد الرحمن السلمي(ت٤١٢ه) في رده على المتكلمين وذم أهل الكلام.

[٤] سيما فصل (في ذكر من عاب الكلام وذمه من الأئمة)،١٠٧/١- ١١٧، وفصل(في التغليط في معارضة الحدي بالرأي والمعقول)، ٢٢١/١- ٢٤٦.

[٥] إحياء علوم الدين، ٩٤/١- ٩٩، تحريم النظر في كتب الكلام، عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي(ت٦٢٠ه)، تحقيق، عبد الرحمن بن محمد بن محمد دمشقية، دار عالم الكتاب، الرياض، ط١، ١٤١٠ه- ١٩٩٠م، ص٣٩- ٤٢.

[٦] سورة المائدة : الآية ١٠١.

[٧] سورة الأنعام : من الآية ٧١ .

[٨] متفق عليه، صحيح البخاري، (كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب ما يكره من السؤال وتكلف ما لا يعنيه)٩/ ٧٢٨٩/٩٥.

[٩] رواه البخاري صحيح البخاري ، (كتاب الرقاق، باب حفظ اللسان)، ١٠١/٨/ ٦٤٧٨.

الفريق الثاني: حُجّة القائلين بمشروعية علم الكلام:

كما استدل المانعون من علم الكلام بأدلة وحجج على ما ذهبوا إليه، كذا فعل القائلون بمشروعية علم الكلام،، كالبيهقي (ت٤٥٨هـ)، والغزالي (ت٥٠٥هـ)، والرازي (ت٦٠٦هـ)، والعز بن عبد السلام (ت٦٦٠هـ)، وغيرهم.

أولاً: أدلة القائلين بمشروعية علم الكلام:

أوجز الرازي (ت٦٠٦هـ) دليل مشروعية علم الكلام من المنقول والمعقول، بما يأتي:

أ- إن علم الكلام إنما يبحث في تقرير الدلائل التي جاء بها الشرع من إثبات وجود الخالق سبحانه وتعالى، ووحدانيته، وإثبات النبوة، والمعاد، والذَّب عنها ودفع المطاعن والشبهات القادحة فيها، وهو ماحكاه الله تعالى وقصه علينا في شأن أنبيائه مع أقوامهم، كما قص علينا في شأن نوح عليه السلام، فقد حكى الله تعالى عن الكفار قولهم: ﴿قَالُوا يَانُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا﴾[١] ومعلوم أن تلك المجادلة ما كانت في تفاصيل الأحكام الشرعية، بل كانت في التوحيد والنبوة، وكذلك حكى لنا الله تعالى ما كان من أمر إبراهيم عليه السلام، فقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ۝ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ۝﴾[٢] الآيات، ثم إن الله تعالى مدحه على ذلك فقال: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ﴾[٣] وهذه هي طريقة المتكلمين في الاستدلال بتغير الأشياء على حدوثها، وأما موسى عليه السلام فحكى الله تعالى لنا مناظرته مع فرعون في التوحيد والمعاد، والنبوة، لاسيما في سورتي طه،[٤] والشعراء،[٥] وأما خاتم النبيين محمد (ρ) فاشتغاله بالدلائل على التوحيد والنبوة والمعاد أظهر من أن يحتاج فيه إلى التطويل، فإن القرآن مملوء منه، وهذا كلُّه ينبه على أن التمسك بهذه الدلائل حرفة هؤلاء المعصومين، وعلم الكلام ليس إلا تقرير هذه الدلائل ودفع الأسئلة والمعارضات عنها، والمجادلة في نصرة الحق.[٦]

ب- ذم الله تعالى من يجادل في الله تعالى بغير علم، في أكثر من موضع في كتابه العزيز، فقال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ﴾[٧]وقال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾[٨] وذلك يقتضي أن المجادل بالعلم لا يكون مذموماً، بل يكون ممدوحاً.[٩] وفي حين نجد القرآن يذكر التفكر في معرض المدح والثناء، وكذلك نجده يذم المعرضين عن النظر

---

[١] سورة هود: من الآية ٣٢.
[٢] سورة الأنعام : الآية ٧٥- ٧٦.
[٣] سورة الأنعام : الآية ٨٦.
[٤] سورة طه: الآية ٤٢، وما بعدها.
[٥] سورة الشعراء: الآية ١٠ ، وما بعدها.
[٦] تفسير الرازي،(مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير)، فخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بـ(خطيب الري) (ت٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣ ،١٤٢٠هـ، ٢/ ٢٢٣- ٢٢٦.
[٧] سورة الحج : ٣.
[٨] سورة الحج : الآية ٨، وكذلك سورة لقمان : من الآية : ٢٠ .
[٩] تفسير الرازي، ٢/ ٣٢٧ .

في آياته، فقال تعالى: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾[١] وكل ذلك يدل على وجوب النظر والاستدلال والتفكر، وذم التقليد فمن دعا إلى النظر والاستدلال، كان على وفق القرآن ودين الأنبياء ومن دعا إلى التقليد كان على خلاف القرآن وعلى وفاق دين الكفار.[٢]

عن أَبي هريرةτ قال: (جاء رجل من بني فزارة إلى النبي(ص)، فقال: إن امرأتي ولدت غلاماً أسود، فقال النبي(ص):((هلْ لَك من إبِلٍ؟))، قال: نعم، قال: ((فَما أَلْوانها؟)) .

قال: حمر ، قال: ((هلْ فيها من أَورق؟))، قال: إن فيها لَورقاً، قَالَ: ((فَأَنى أَتاها ذَلك؟))، قال: عسى أن يكون نزعه عرقٌ، قال: ((وهذَا عسى أَنْ يكُونَ نزعه عرق))،[٣] وهذا هو التمسك بالإلزام والقياس.[٤]

ج- وأما الدليل العقلي، فقال الرازي: "أما المعقول: فهو أنّه ليس تقليد البعض أولى من تقليد الباقي، فإما أن يجوز تقليد الكل فيلزمنا تقليد الكفار، وإما أن يوجب تقليد البعض دون البعض فيلزم أن يصير الرجل مكلفاً بتقليد البعض دون البعض من غير أن يكون له سبيل إلى أنّه لِم قلد أحدهما دون الآخر، أي وإما أن لا يجوز التقليد أصلاً وهو المطلوب، فإذا بطل التقليد لم يبق إلا هذه الطريقة النظرية"، علم الكلام[٥].

المبحث الثاني

مشروعية علم الكلام ودوره في تقرير مسائل العقيدة.

المطلب الأول: مشروعية علم الكلام وصلته بالعلوم الشرعية.

"يقوم علم الكلام على بحث ودراسة مسائل العقيدة الإسلامية بإيراد الأدلة وعرض الحجج على إثباتها، ومناقشة الأقوال والآراء المخالفة لها، وإثبات بطلانها، ودحض ونقد الشبهات التي تثار حولها، ودفعها بالحجة والبرهان".[٦] فمثلا إذا أردنا أن نستدل على ثبوت وجود خالق لهذا الكون، وثبوت أنه واحد لا شريك له، نرجع إلى هذا العلم، وعن طريقه نتعرف على الأدلة التي يوردها العلماء في هذا المجال. وذلك أن هذا العلم هو الذي يعرفنا الأدلة والبراهين والحجج العلمية التي باستخدامها نستطيع أن نثبت أصول الدين الإسلامي، ونؤمن بها عن يقين. كما أنه هو الذي يعرفنا كيفية الاستدلال بها وكيفية إقامة البراهين الموصلة إلى نتائج يقينية. "وهكذا إذا أردنا أن نعرف وجوب نبوة النبي وصحتها، فإننا نعمد إلى أدلة هذا العلم التي يستدل بها في هذا المجال، وندرسها، ثم نقيم برهانا على ذلك. وأيضا إذا أردنا أن ننفي شبهة التجسيم عن الذات الإلهية، نرجع إلى هذا العلم، وعن طريقه نستطيع معرفة ما يقال من نقد لإبطالها. ولابد في الأدلة التي يستدل بها على إثبات أي أصل من أصول الدين، وأي مسألة من مسائل هذا العلم وقضاياه من أن تكون مفيدة لليقين. فمثلا لو أقمنا الدليل على ثبوت المعاد (أي البعث بعد الموت) لابد في هذا الدليل من أن يؤدي إلى إثبات المعاد بشكل

---

[١] سورة يوسف: الآية ١٠٥ .
[٢] تفسير الرازي،٣٢٧/٢.
[٣] متفق عليه، صحيح البخاري ، (كتاب الحدود، باب ما جاء في التعريض) ،٦٨٤٧/١٧٣/٨. صحيح مسلم ، (كتاب الطلاق ، باب انقضاء عدة المتوفي عنها زوجها وغيرها بوضع الحمل)،١٥٠٠/١١٣٧/٢، واللفظ له.
[٤] تفسير الرازي، ٢/ ٣٢٧.
[٥] المصدر نفسه، ٣٢٥/٢- ٣٢٧.
[٦] أصالة علم الكلام، د. كتور محمد صالح محمد السيد، دار الثقافة والنشر والتوزيع، ١٩٨٧، ص: ٥٨.

يدعونا إلى الاعتقاد الجازم والإيمان القاطع بثبوته، أي اليقين بمعاد الناس وببعثهم من القبور وحشرهم يوم القيامة، وعرضهم للحساب، ومن بعد مجازاتهم بالثواب أو العقاب".[١] وإذا كان كل من الفارابي والإيجي قد جعلا علم الكلام يقوم على نصرة العقيدة الإسلامية دون تمييز بين الفرق الإسلامية، فإننا نجد ابن خلدون في مقدّمته يحصر التعريف في نصرة الاعتقادات على مذهب السلف وأهل السنة ويخرج باقي الفرق فيقول في تعريفه لعلم الكلام: "هو علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية والرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السنة، وسر هذه العقائد الإيمانية هو التوحيد".[٢] وهو في هذا يوافق ما ذهب إليه "الغزالي في المنقذ من الضلال. وهناك تعريفات أخرى للكلام تحدده بموضوعه لتفصل بينه وبين العلوم الأخرى الناظرة في الإلهيات. **إن** المدقق في الموقف الرافض لعلم الكلام يجد أن أصل هذا الموقف لم يكن موجهاً إلى علم الكلام على وجه الخصوص، بل هو ردة الفعل تجاه كل رأي جديد، على اعتبار أنّه قول في معرض النص، وخوض فيما لم يرد عن النبي محمد (ص) ، ولا عن صحابته رضي الله عنهم، ومن ثَم فهو خروج على الكتاب والسنّة، وسيرة الصحابة، وهذا التوجيه يؤكده ما استشهد به الذَّامون لعلم الكلام من نصوص وأقوال للصحابة والتابعين في ذم الكلام كونه قولاً بالرأي في مقابل الشرع"،[٣] "ولو لم يكن لعلم الكلام مشروعي لما اشتغل به اكابر علماء الأمة مثل: إمام الحرمين الجويني[٤]، وناصر الدين البيضاوي،[٥] وسيف الدين الآمدي"[٦].

"وعضد الدين الإيجي[٧]، وسعد الدين التفتازاني[٨]، ، وابن حزم"،[٩] ، وغيرهم من أئمة المسلمين. :فعلم الكلام شأنه شأن سائر علوم الشريعة، يجب على المسلمين وجوباً كفائياً أن يتعلموه حتى يتمكنوا من دفع شبهات

---

[١]. مفهوم العقيدة في الاصطلاح ، محمد سلامة ، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٠م، ص١٥٦.

[٢] مقدمة ابن خلدون، ص٤٢٣- ٤٢٩..

[٣] الفرق الكلامية الإسلامية، دكتور علي عبد الفتاح المغربي ، ص ١١٤.

[٤] هو أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد بن عبد الله بن حيوة الجويني، ولد الجويني في ١٨ محرم ٤١٩هـ الموافق ١٢ فبراير ١٠٢٨م في بيت عرف بالعلم والتدين؛ فأبوه كان واحدا من علماء وفقهاء نيسابور المعروفين وله مؤلفات كثيرة في التفسير والفقه والعقائد والعبادات، وقد حرص على تنشئة ابنه عبد الملك تنشئة إسلامية صحيحة فعلمه بنفسه العربية وعلومها، واجتهد في تعليمه الفقه الخلاف والأصول. واستطاع الجويني أن يحفظ القرآن الكريم في سن مبكرة، جويني لمحمد الزحيلي، ص ٩٤-٩٦.

[٥] البيضاوي هو، (ت:٦٨٥ه)، عبد الله بن عمر البيضاوي، أحد علماء أهل السنة والجماعة، وهو فقيه وأصولي شافعي، ومتكلم ومحدث ومفسر ونحوي، له مؤلفات كثيرة منها(أنوار التنزيل وأسرار التأويل، منهاج الوصول إلى علم الأصول، مصباح الأرواح في الكلام)، http://data.bnf.fr/ark.

[٦]الآمدي، هو سيف الدين أبو الحسن علي بن أبي علي بن محمد بن سالم بن محمد(ت:١٢٣٣ه) له مؤلفات كثيرة منها (أبكار الأفكار ،غاية المرام في علم الكلام ، دقائق الحقائق في الحكمة)، الأعلام - خير الدين الزركلي (طبعة دار العلم للملايين، ٤ /٣٣٢.

[٧] الإيجي هو، (ت:٧٥٦ه)، عضد الدين الإيجي هو قاضٍ ومتكلم وفقيه ولغوي، من كبار علماء أهل السنة الأشاعرة، له مؤلفات كثيرة منها(المواقف في علم الكلام، جواهر الكلام، الكواشف في شرح المواقف)، لدرر الكامنة ٢/ ١٩٦، البدر الطالع ١/ ٢٢٧، شذرات الذهب ٦/ ١٧٤، طبقات الشافعية للأسنوي ٢/ ١٠٩، بغية الوعاة: ٢٩٦.

[٨] التفتازاني: هو مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازانى، سعد الدين: من أئمة العربية والبيان والمنطق.
ولد بتفتازان (من بلاد خراسان) وأقام بسرخس، وأبعده تيمورلنك إلى سمرقند، فتوفى فيها، ودفن في سرخس.
كانت في لسانه لكنة. من كتبه (تهذيب المنطق - ط) و (المطول - ط) في البلاغة، و (المختصر - ط)، الأعلام - خير الدين الزركلي (طبعة دار العلم للملايين، ٤ /٣٤٢.

[٩]أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خلف بن معدان بن سفيان بن يزيد الأندلسي القرطبي (٣٠ رمضان ٣٨٤ هـ / ٧ نوفمبر ٩٩٤م قرطبة - ٢٨ شعبان ٤٥٦ هـ / ١٥ اغسطس ١٠٦٤م ولبة)، يعد من أكبر علماء الأندلس وأكبر علماء الإسلام تصنيفًا وتأليفًا بعد الطبري، الذهبي، سير أعلام، ٨١/١٨.

المشككين".[١] وقد صنّف الإمام البخاري إمام الحفاظ والمحدثين (ت ٢٥٦ هـ) كتاب (خلق أفعال العباد)، وصنَّف المحدث نعيم بن حماد (ت ٢٢٨ هـ) كتاباً في الردّ على الجهمية وغيرهم، وصنَّف المحدّث محمد بن أسلم الطوسي (ت ٢٤٢ هـ) – وهو من أقران الإمام أحمد – أيضاً في الردّ على الجهمية.[٢]

منزلة علم الكلام من العلوم الشرعية:

يمكن القول بأن علم الكلام ليس فقط واحداً من العلوم الشرعية بل هو رئيس العلوم الشرعية قاطبة، ذلك لأن سائر العلوم الشرعية مستندة إليه استناد الفرع إلى الأصل، لأن فيه تثبت موضوعاتها، طالما كان موضوعه متعلقاً بالعقائد واثباتها. فيقول عضد الدين الإيجي في بيان مرتبة علم الكلام من العلوم الشرعية بناء على موضوعه وغايته: "إن موضوعه أعم الأمور وأعلاها وغايته أشرف الغايات وأجداها ودلائله يقينية يحكم بها صريح العقل وقد تأيدت بالنقل وهي الغاية في الوثاقة، وهذه هي جهات شرف العلم لا تعدوها فهو أشرف العلوم... وهو العلم الأعلى فليست له مبادىء تبين في علم آخر، بل مباديه إما بيّنة بنفسها أو مُبيّنة فيه، فهي مسائل له، ومبادئ لمسائل أخر منه لا تتوقف عليها لئلا يلزم الدور، فمنه تستمد العلوم، وهو لا يستمد من غيره، فهو رئيس العلوم على الإطلاق".[٣]

ويفضل محمد علي التهانوي هذا القول فيقول: "والكلام هو الأعلى إذ تنتهي إليه العلوم الشرعية كلها وفيه تثبت موضوعاتها وحيثياتها، فليست له مبادىء تبين في علم آخر شرعياً أو غيره بل مبادؤه إما مبيّنة بنفسها أو مبيّنة فيه، فهي أي فتلك المبادئ المبنية فيه مسائل له من هذه الحيثية ومبادئ لمسائل أخر منه لا تتوقف عليها لئلا يلزم الدور، فلو وجدت في الكتب الكلامية مسائل لا يتوقف عليها اثبات العقائد أصلاً، ولا دفع الشبه عنها فذلك من خلط مسائل علم آخر به تكثيراً للفائدة في الكتاب، فمن الكلام يستمد غيره من العلوم الشرعية وهو لا يستمد من غيره أصلاً، "فهو رئيس العلوم الشرعية على الإطلاق بالجملة. فعلماء الإسلام قد دونوا لإثبات العقائد الدينية المتعلقة بالصانع وصفاته وأفعاله وما يتفرع عليها من مباحث النبوة والمعاد علماً يتوصل به إلى إعلاء كلمة الحق فيها، ولم يرضوا أن يكونوا محتاجين فيه إلى علم آخر أصلاً، فأخذوا موضوعه على وجه يتناول تلك العقائد والمباحث النظرية التي تتوقف عليها تلك العقائد، سواء أكان توقفها عليها مواد أدلتها، أو باعتبار صورها، وجعلوا جميع ذلك مقاصد مطلوبة في علمهم هذا، فجاء علماً مستغنياً في نفسه عما عداه، ليس له مبادىء تبين في علم آخر".[٤]وهكذا تستند العلوم الشرعية إلى علم الكلام، فيستند إليه الفقه مثلاً استناد الفرع على الأصل، ذلك لأن علم الفقه يرتبط بالعمل، والعمل فرع على النظر والاعتقاد. وعلم التصوف يستند إليه أيضاً، ذلك لأن التصوف يبحث في الأحكام الشرعية – نظرية كانت أو عملية – من ناحية آثارها في قلوب المتعبدين بها، من حيث يعني بجانب السلوك والأخلاق على أساس من التذوق الروحي والوجدان القلبي، ومن هنا فهو يستند إلى علمي الكلام والفقه، إذ لابد للصوفي على الحقيقة من علم كامل بالكتاب والسنة لكي يصحح

---

[١] بحر الكلام للإمام أبي المعين النسفي، دراسة وتحقيق: محمد السيد البرسيجي، دار الفتح للدراسات والنشر، ص: ٢١-٢٢.
[٢] مناقب الشافعي ،١ مطبعة ، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط٢ ،١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م./ ٤٥٧.
[٣] المواقف ، عضد الدين الإيجي، تـ٧٥٦هـ)،عالم الكتب، بيروت، بلا طبعة، ١٩٣م ، ص٨.
[٤] كشاف اصطلاح الفنون، لمحمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي(ت١١٥٨هـ)، تحقيق : علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون – بيروت، ط١٩٩٦،١م، ص٨٠.

اعتقاداته وعباداته ومعاملاته على اختلافها. ولهذا يقرر الدكتور أبو الوفا الغنيمي التفتازاني "أن انفصال هذه العلوم (يعني: علم الكلام، والفقه، والتصوف) والتميز بينها، إنما هو أمر اعتباري فقط، ذلك لأن هذه العلوم يمكن أن تندرج تحت اسم واحد، هو الشريعة، وجاء هذا الانفصال والتمييز نتيجة التخصص العلمي الدقيق، وهو أمر ظهر في الإسلام في وقت متأخر، أما قبل ذلك فكان اسم الفقه يطلق فقط على العمليات من الشرع، وإنما أيضاً على الاعتقاديات والأخلاق".[١] "وهذه المكانة الهامة لعلم الكلام، يمكن أن نلمسها بشكل واضح في تصنيف العلوم عند العرب، والذي قام عندهم على بيان تصورهم للمعرفة البشرية، وتوضيح علاقات أجزائها بعضها ببعض، موضحين ترتيب العلوم من حيث الخصوص والعموم، ومبينين حدودها والعلاقات القائمة بينها".[٢]

صلة علم الكلام بالعلوم الأخرى:

لعلم الكلام صلة وثيقة بالعلوم التي نشأت في البيئة الإسلامية وقت ظهوره أو التي سبقت ظهوره، وعندما نقرأ في كتب الطبقات والتراجم التي صنفت لترجمة حياة المتكلمين وكتبهم، فإننا نجد عبارة تتكرر كثيراً عند التعرض لترجمة المتكلم أنه قد حاز على العلوم الملية والحكمية، وهذ العبارة تشير إلى ثقافة المتكلم الواسعة بحيث يلم بالعلوم الملية – أي نشأت تبعا للملة الإسلامية – كعلوم القرآن والحديث والتفسير والفقه وأصول اللغة، وأيضا بالعلوم الحكمية وهي العلوم العقلية من منطق وفلسفة، وهذا يعني ارتباط هذه العلوم بالمباحث الكلامية التي هي موضوع علم الكلام، وأنه لأهمية تلك الصلة بين علم الكلام والعلوم الأخرى كان لابد للمتكلم من أن يحصّل تلك العلوم. ومن ناحية أخرى، إذا كان علم الكلام يقوم على التوفيق بين العقل والنقل فلابد من معرفة المتكلم بالعلوم العقلية والعلوم النقلية، ولابد من صلة بين هذه العلوم وعلم الكلام. وعلم الكلام هو الأساس الذي تقوم عليه العلوم الشرعية، إذ أنه ما لم يثبت وجود إله خالق قادر عليم أنزل رسله بالتكليف – وهذه موضوعات علم الكلام – لم تكن العلوم الشرعية – من فقه وحديث وتفسير – سارية وقائمة لأنها مبنية على تلك الموضوعات التي يبحثها علم الكلام، فهو أساس تلك العلوم وتستمد منه أصولها وتستعين به في مباحثها وتأخذ منه.[٣]

المطلب الثاني

علم الكلام ودور في تقرير مسائل العقيدة

لقد أستند علم الكلام إلى ايراد الأدلة والحجج من الكتاب والسنة واثباتها في تقرير مسائل العقيدة كوحدانية الله في العبادة والخلق العالم، والقضاء والقدر، والنبوة، والمعاد.

---

[١] علم الكلام وبعض مشكلاته، الدكتور أبو الوفا الغنيمي التفتازاني، دار الكتاب اللبناني بيروت١٩٧٢، ص: ٥-٦.

[٢] تفصيلاً المقصود بتصنيف العلوم، د. جلال موسى، منهج البحث العلمي عند العرب، في مجال العلوم الطبيعية والكونية، دار الكتاب اللبناني بيروت، الطبعة الأولى ١٩٧٣م، ص ٥٥-٥٦، وأيضاً، د. محمد علي أبو ريان، تصنيف العلوم بين الفارابي وابن خلدون، بحث بمجلة عالم الفكر، الكويت، المجلد التاسع، العدد الأول، ١٩٧٨م، ص ٩٧-١٢٢.

[٣] الفرق الكلامية الإسلامية، د. علي عبد الفتاح المغربي، الفرق الكلامية الإسلامية، ص ١١٤.

بيان النصوص الشرعية للعقائد الإسلامية:

اشتملت نصوص الكتاب والسنة على المادة الأساسية التي كونت موضوعات علم الكلام، من الإلهيات والنبوات والمعاد، وما تفرع عنها من مباحث، واستدل عليها بالبراهين والحجج المناسبة للفطرة الملزمة للعقول، وفيما يأتي إشارة موجزة إلى أمهات هذه المسائل:

أ- وجود الخالق ووحدانيته وافراده بالعبادة وذكر صفاته: أرشد القرآن الكريم إلى الأدلة على وجود الله تعالى، وهي تكاد تكون بعينها بعض الأدلة التي استند إليها العلماء والمتكلمون في هذا الصدد، مما يشير إلى اعتمادهم على القرآن الكريم، فقد نبه القرآن الكريم في كثير من آياته التي تكلمت عن العالم وخلقه، إلى قدرة الله تعالى وبديع صنعه، وعجائب أسراره، ليستدل بذلك على وجود الله تعالى، وأنَّه الخالق لهذا العالم، الواحد الأحد المنفرد باستحقاق العبادة وحده لا شريك له، قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[١] وقال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[٢] وهذا كلام موجز منبه على الحجة بأن الله تعالى واحد لا شريك له، وكلام العلماء والمتكلمين في الحجاج في التوحيد، مرجعه إلى هذه الآية وأمثاله :كقول الله سبحانه وتعالى :﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[٣] وأما في مجال صفات الله تعالى، فلم تقتصر الآيات على بيان وحدانيته تعالى، بل وردت الآيات التي تحدثت عن صفاته تعالى، فذكرت العلم، والقدرة، والإرادة، والرحمة، والسمع، والبصر، والكلام، والحياة، ... مع التأكيد على تنزيهه سبحانه وتعالى عن مشابهة المخلوقات، متعالياً عن التصور الحسي والعقلي، قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[٤] فضلاً عما اصطلح عليه فيما بعد بـ(الصفات الخبرية)، كاليدين، قال تعالى: ﴿قَالَ يَاإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾[٥] والوجه قال تعالى:﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾[٦] . ومسألة الرؤية، قال تعالى:﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾[٧] وقال تعالى : ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝﴾[٨] ومسألة كلام الله تعالى، والموقف من القرآن بين قائل بأنَّه مخلوق، وقائل بقدمه، وغير ذلك مما انقسمت بإزائه مواقف العلماء والمتكلمين، مما شكَّل مادة خصبة في المساجلات الكلامية. وجاءت السنة أيضاً على ذكر صفات الله تعالى، ومن ذلك ما رواه أبو موسى الأشعريτ قال: (كنَّا مع النَّبي (ص) في سفر، فكُنَّا إذا علونا كبرنا، فقال: ((أربُعوا[٩] علَى أَنفُسِكُم ،

---

[١] سورة البقرة: الآية٢١ – ٢٢ وكذلك الآيات،١٦٤- ١٦٥.
[٢] سورة الأنبياء: الآية ٢٢.
[٣] سورة المؤمنون: الآية ٩١ .
[٤] سورة الشورى: من الآية ١١.
[٥] سورة ص: الآية ٧٥.
[٦] سورة الرحمن : الآية ٢٧.
[٧] سورة الأنعام : الآية ١٠٣. وكذلك سورة الأعراف : الآية ١٤٣.
[٨] سورة القيامة: الآية ٢٢ – ٢٣.
[٩] يقال: أربع على نفسك رَبعاً، أي ارفق بنفسك وكفى، الصحاح تاج اللغة، مادة(ربع)، ابو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت: ٣٩٣هـ) تحقيق، أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت٤، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م،١٢١٢/٣، لسان العرب ، مادة،(ربع) ٨/ ١١٠.

فَإِنكُم لاَ تدعونَ أَصم))) وكذلك تضمنت السنة نصوصاً تتعلق بـ(الصفات الخبرية)، كالوجه، ومن ذلك ما جاء في دعاء النبي(ص)) : ((أَسأَلُك خشيتك في الْغيبِ والشهادة ،وكَلمةَ الْحق في الْغضبِ والرضا، والْقَصد في الْفَقْرِ والْغنى، ولَذَّةَ النظَرِ إِلَى وجهِك))[١] واليد، ومن ذلك ما رواه أبو موسى الأشعري τ عن النبي (ص) ، قال:)إِنَّ اللهَ عز وجلَّ يبسطُ يده بِاللَّيلِ ليتوب مسِيءُ النهارِ، ويبسطُ يده بِالنهارِ ليتوب مسِيءُ اللَّيلِ، حتى تطْلُع الشمس من مغرِبِها))،[٢] وكذلك وردت عدة أحاديث في مسألة رؤية الله تعالى، منها ما رواه جرير بن عبد الله τ قال: ((خرج علَينا رسولُ اللَّه لَيلَةَ البدرِ، فَقَالَ: إِنكُم سترونَ ربكُم يوم القيامة كَما ترونَ هذَا، لاَ تضامونَ في رؤيته)).[٣] وغير ذلك الكثير من نصوص القرآن والسنة التي شكلت مادة أساسية في بحث إثبات الخالق ووحدانيته وإفراده بالعبادة وذكر صفاته، وما تفرع عنها من مسائل.

ب- فقد كان من أهم الحقائق التي ذكرها القرآن، أن العالم حادث مخلوق، وإذا كان العالم محدثاً مخلوقاً، فلابد من خالق، وهو الله تعالى، خلق كل شيء فهو المصور المبدع، وقد أخبر القرآن بهذه الحقيقة ودلل عليها في كثير من الآيات، وحثَّ على النظر والتفكر لإدراك ذلك، وسبق قريباً عدة آيات في هذا المعنى، وتحدث القرآن عن خلق الإنسان، سواء أصل خلقه، أم تناسله وتكاثره، فقال تعالى: ﴿ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ۝ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ۝ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ ۝ وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ﴾[٤] وأخبر عن مراحل خلق الجنين في أكثر من موضع، بما يعد آية من آيات صدق النبوة، وكذلك أشار القرآن إلى القوانين والسنن التي يسير عليها الخلق، من حيث إن الله تعالى يهب كل مخلوق طبيعته المقدرة له، وماهيته المميزة له، قال تعالى حكاية عن موسى عليه السلام في جوابه فرعون: ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾[٥] وأكد على أن خلق العالم لم يكن عبثاً وهملاً، بل لحكمة، تتمثل بالاختبار والامتحان، ثم يجزى كلٌّ بحسب عمله، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ۝ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٦] .

وفي الحديث عن عمران بن حصين τ قال: (إني عند النبي (ص) إذ جاءه قوم من بني تميم، فقال: ((اقْبلُوا البشرى يا بنِي تميمٍ))، قالوا: بشرتنا فأعطنا، فدخل ناس من أهل اليمن، فقال: ((اقْبلُوا البشرى يا أَهلَ اليمنِ، إِذْ لَم يقْبلْها بنو تميمٍ))، قالوا: قبلنا، جئناك لِنَتَفَقَّه في الدين، ولِنَسأَلَك عن أول هذا الأمر ما كان، قال: ((كَانَ اللَّه ولَم يكُن شيءٌ قَبلَه ، وكَانَ عرشه علَى المَاءِ، ثُم خلَق السموات)) والأَرض ،وكَتب في الذِّكْرِ كُلَّ شيءٍ)) [٧]

---

[١] رواه أحمد من حديث عمار بن ياسر τ مرفوعاً، قال: الأرناؤوط ﴿وكانَ الله سَميعاً بصيراً﴾ ٧٣٨٦/١١٧/٩، واللفظ له ، صحيح مسلم ، (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب استحباب خفض الصوت بالذكر)، ٢٧٠٤/٢٠٧٦/٤.

[٢] رواه مسلم، صحيح مسلم، (كتاب التوبة، باب قبول التوبة من الذنوب)، ٢٧٥٩/٢١١٣/٤.

[٣] متفق عليه ، صحيح البخاري،(كتاب التوحيد، باب قوله تعالى ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ ،٧٤٣٦/١٢٧/٩، واللفظ له، صحيح مسلم، (كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاتي الصبح والعصر)، ٦٣٣/٤٣٩/١.

[٤] سورة السجدة : من الآية ٧- إلى الآية ١٠.

[٥] سورة طه: الآية ٥٠ .

[٦] سورة الدخان: الآية ٣٨ – ٣٩ .

[٧] رواه أحمد في مسنده، ٣٣/ ١٠٧- ١٠٨/ ١٩٨٧٦، والبخاري صحيح البخاري، (كتاب التوحيد، باب :﴿وَكانَ عَرْشُهُ عَلَى الماءَ ، ٧٤١٨/١٢٤/٩، وهذا لفظه.

وغير ذلك من نصوص الكتاب والسنة المتعلقة بخلق العالم، وما تفرع عنها من مسائل، بما يفيد من دون شك أن العالم مخلوق لخالق، وليس ثمة مجال للقول بالاتفاق أو الصدفة؛ لمنافاته القوانين الثابتة والسنن المطردة التي يسير عليها العالم.

ج- القضاء والقدر: وما يتصل بذلك من الجبر والاختيار، والهدى والضلال، فقد كان للنص الشرعي دور محوري في بحث هذه المسألة، إذ جاءت بعض الآيات بصيغة فَهِمتْ منها بعض المشارب الفكرية الجبر، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾[١] وقوله : ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾[٢] ونحو ذلك من النصوص التي استدل بها القائلون بالجبر في حين وردت بعض الآيات بما يدلُّ على الاختيار، ومنافاة الجبر، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾[٣] لم تخلُ السنّة بدورها من النصوص التي بحثت في تلك المسائل، ومن ذلك: ما رواه أبي هريرة τ أن النبي (ص) قال: ((احتج آدم ،وموسى، فَقَالَ موسى: أَنت آدم الَّذي أَخرجت ذُريتك من الجَنة ،قَالَ آدم :أَنت موسى الَّذي اصطَفَاك اللَّه بِرِسالاَته ، وكَلاَمه ثُم تلُومنِي علَى أَمرٍ قَد قُدر علَي قَبلَ أَنْ أُخلَق ،فَحج آدم موسى)).[٤] وغيرها من النصوص التي كانت مادة خصبة لاستدلال العلماء والمتكلمين على اختلاف مشاربهم لدعم مذاهبهم وآرائهم، فكانت عاملاً مهماً في نشوء علم الكلام وتطوره

د- النبوة: فقد جاءت عدة آيات قرآنية تحدثت عن الوحي والنبوة وإثباتها، انطلق منها العلماء في الكلام على النبوة وما يتصل بها من مسائل.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[٥] وقد تحدى الله الكافرين بأن يأتوا بمثل هذا القرآن فعجزوا عن ذلك كلِّه، فأقام الحجة عليهم، بأن القرآن من عند الله تعالى، وليس قول البشر، وأن من جاء به هو رسول من عند الله تعالى حقاً. وأما دلائل النبوة من السنة فهي كثيرة تربو على الحصر، منها: إخباره (ص) بالمغيبات، ومن أشهرها ما أخبر به النبي (ص) من زوال مملكتي فارس والروم، وهلاك كسرى وقيصر، وإنفاق كنوزهما في سبيل الله، فعن جابر بن سمرة τ قال: قال رسول اللَّه (ص):((إِذَا هلَك كسرى فَلاَ كسرى بعده ،وإِذَا هلَك قَيصر فَلاَ قَيصر بعده ،والَّذي نفْسِي بِيده لَتنفَقَن كُنوزهما في سبِيلِ اللَّه))،[٦] وقد تحقق ذلك، ومنها ظهور الخوارق على يديه، والسنة النبوية الطاهرة تزهوا بمعجزات النبي(ص) ونحو ذلك الكثير من دلائل النبوة. فكانت نصوص الكتاب والسنة، مادة غنية في مباحث النبوة وما يتفرع عنها من مسائل.

---

[١] سورة الأنعام: الآية ١٠٧ .
[٢] سورة الصافات: الآية ٩٦ .
[٣] سورة الكهف: من الآية ٢٩ .
[٤] متفق عليه ، صحيح البخاري، (كتاب، باب قوله ُوكَلَّمَ اللهُ مُوسى تكليما ً، ٧٥١٥/١٤٨/٩، وهذا لفظه، صحيح مسلم،(كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام)، ٢٠٤٤/٤/ ٢٦٥٢.
[٥] سورة الشورى: الآية ٥٢ .
[٦] متفق عليه ، صحيح البخاري،(كتاب فرض الخمس ن باب أقوال النبي(ρ) : أحلت لكم الغنائم)٣١٢١/٨٥/٤، وهذا لفظه.

هـ- المعاد : فأقام الشرع الدليل على إمكان المعاد، بعدة نصوص، منها: قوله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾[١] وقوله تعالى: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾[٢] . وفي الحديث القدسي، عن أبي هريرة τ عن النبي(ρ) قال: ((قَالَ اللَّه : كَذَّبنِي ابن آدم ولَم يكُن لَه ذَلك ،وشتمنِي ولَم يكُن لَه ذَلك ،فَأَما تكْذيبه إِياي فَقَولُه :لَن يعيدنِي، كَما بدأَنِي، ولَيس أَولُ الخَلْقِ بِأَهونَ علَي من إِعادته ،وأَما شتمه إِياي فَقَولُه :اتخذَ اللَّه ولَدا وأَنا الأَحد الصمد ،لَم أَلد ولَم أُولَد ،ولَم يكُن لي كُفُئاً أَحد)).[٣]وغير ذلك من النصوص الشرعية التي شكلّت مادة أساسية في مباحث المعاد، وما تفرع عنها من مسائل. فشكلت بمجملها الركن الأول في علم الكلام، ألا وهو إثبات العقائد الإسلامية.

الخاتمة وابرز النتائج

الحمد الله الذي بفضله تتم الصالحات، في ختام هذه البحث المتواضع، فيما يأتي خلاصة لما جاء فيه متضمنة أبرز ما توصلتُ إليه من نتائج بحسب موضوعات البحث الرئيسة:

أ- أبرز النتائج المتعلقة بنشأة علم الكلام وتطوره:

١ – علم الكلام علم أصيل سواء من حيث مجمل المسائل الاعتقادية التي يبحث فيها، أو من حيث رد الشُّبه وبيان بطلانها، إذ ظهر أن أصول مسائله ترجع إلى الكتاب والسنة.

٢ – تبين أن علم الكلام مر بأدوار مختلفة، وتأثر بعوامل عدة، تضافرت في نشأته وتطوره، يمكن إجمالها: بثلاثة: الأول: النص الشرعي (الكتاب والسنّة)، والثاني: المشكلات الأولى: (الإمامة، ومرتكب الكبيرة، والإرجاء، والجبر والاختيار، والصفات)، والثالث: التقاء الإسلام بالديانات والحضارات الأخرى.

٣ – إن ظهور المشكلات الأولى، بعد التحاق النبي (ص) بالرفيق الأعلى، كان لها الأثر البارز في انتقال علم الكلام إلى مرحلة جديدة بما أسهمت فيه من ظهور أصول الفرق الإسلامية، التي تفرعت عنها باقي الفرق.

ب- أبرز النتائج المتعلقة بتعريف علم الكلام ومواقف العلماء منه:

١ – أقرب ما يعرف به علم الكلام: أن يقال، هو: العلم الذي يبحث في إثبات العقائد الإسلامية بأدلتها اليقينية ودفع الشبه عنها.

٢ – أَرجح ما يمكن أن تُعزى إليه سبب تسميته بـ(الكلام)، هو الانقسام تجاه الخوض في مسائل عقدية معينة والكلام فيها، بين مجيز ومانع.

٣ – أولى ما يقال في موضوع علم الكلام، أنَّه: المعلوم من حيث يتعلّق به إثبات العقائد الإسلامية، تعلّقاً قريباً أو بعيداً.

٤ – الأدلة التي احتج بها من ذم علم الكلام، من الكتاب والسنة، لا تنتهض على المدعى، بل غالبها عمومات يمكن حملها على حالات مخصوصة ذمها الشرع.

ج- أبرز النتائج المتعلقة بدور علم الكلام والدفاع عن مسائل العقيدة:

---

[١] سورة الأنبياء: من الآية ١٠٤ .
[٢] سورة الروم: الآية ١٩ .
[٣] رواه بخاري، صحيح البخاري،(كتاب تفسير القرآن ، باب قوله:ٌ وَامْرأَتُهُ حَمَّالةُ الحَطَبِ،٦/١٨٠/٤٩٧٤.

١ – كان لعلم الكلام دورا هما جدا في الدفاع عن العقيدة الإسلامية مقبل أهل البدع والفتن الذين كان يكيدون للإسلام المكائد.

٢ – كان علم الكلام يعتم اعتمادا كليا على الكتاب والسنة النبوية في ايراد الأدلة والحجج في تقرير مسائل العقيدة.

٣ – أن علم الكلام جعل العقل تابعا للكتاب والسنة وستند عليهما في اثبات المسائل الشرعية.

بعض المقترحات التوصيات:

١ – بعد أن جاء هذ البحث في بيان أثر علم الكلام في تقرير مسائل العقيدة، اقترح أن ينبري بعض الباحثين للكتابة في كيفية الاستدلال على العقيدة، وذلك بتتبع المباحث المؤثرة في دلالة الدليل، عقلياً كان أم سمعياً، على مدلوله، في دراسة مقارنة، فتكون استكمالاً لهذه الدراسة.

٢ – أوصي أن يلتزم الباحثون، ولاسيما من يكتب في الآراء الاعتقادية والكلامية، لأحد العلماء والشخصيات، تقديم البحث ببيان الأصول التي يعتمدها ذلك العالم أو تلك الشخصية في الاستدلال.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١– إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، تحقيق: محد رشيد رضا القباني، دار إحياء العلوم، بيروت، ط٢، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

٢– الكفاية في الجدل، أبو المعالى عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني ،(ت ٤٧٨ هـ)، تحقيق، د. فوقية حسين، مطبعة البابي الحلبي وشركاؤه، القاهرة، سنة ١٣٩٩هـ–١٩٧٩م .

٣– تاريخ ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون الحضرمي (ت٨٠٨هـ)، ت: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط٢ ،١٤٠٨هـ/١٩٨٨م .

٤– تمهيد تاريخ الفلسفة الإسلامية، مصطفى عبد الرازق، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة،١٣٦٣هـ/١٩٤٤م، ص٢٦٧، مذاهب الإسلاميين، عبد الرحمن بدوي، ط١، دار العلم للملايين، بيروت،١٩٧٨م .

٥– شرح العقائد النسفية، سعد الدين التفتازاني، دار الكتب العلمية، بيروت، سنة،١٩٨٩م .

٦– شرح العقيدة الطحاوية للبابرتي، محمد بن محمد بن محمود للبابرتي(ت:٧٨٦هـ)، ط٦مكتبة ابن تيمية، القاهرة ،١٤٠٨هـ .

٧– علم الكلام ومدارسه، د. فيصل بدير عون، دار الثقافة، القاهرة، بلا طبعة وتاريخ.

٨– ابن حزم وآراؤه الكلامية والفلسفية، للدكتورة سهير فضل الله أبو وافية، رسالة دكتوراه من جامعة عين شمس، كلية البنات.

٩– أصالة علم الكلام، د. كتور محمد صالح محمد السيد، دار الثقافة والنشر والتوزيع، ١٩٨٧.

١٠- الآمدي وآراؤه الكلامية، الدكتور حسن الشافعي، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة ،١٩٧٩م .

١١- بحر الكلام للإمام أبي المعين النسفي، دراسة وتحقيق: محمد السيد البرسيجي، دار الفتح للدراسات والنشر ١٩٨١م .

١٢- البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، تحقيق، علي شيري، دار إحياء التراث العربي، ط١، سنة،١٩٨٦م .

١٣- تاريخ ابن خلدون (المسمى: ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر)، عبد الرحمن بن خلدون الحضرمي (ت٨٠٨هـ)، ت: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط٢ ،١٤٠٨هـ/١٩٨٨م .

١٤- تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام، د. محمد أبو ريان، دار المعارف الجامعية، بلا طبعة وتاريخ.

١٥- تأويل مختلف الحديث، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ)، طبعة، لمكتب الاسلامي – مؤسسة الإشراق، ط٢، ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م.

١٦- التبصرة في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين ، أبو المظفر الإسفراييني (شهفور بن طاهر بن محمد) (ت٤٧١هـ)، تحقيق: كمال يوسف الحوت، عالم الكتب، بيروت، ط١،١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

١٧- تحريم النظر في كتب الكلام، عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي(ت٦٢٠هـ)، تحقيق، عبد الرحمن بن محمد بن محمد دمشقية، دار عالم الكتاب، الرياض، ط١، ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م.

١٨- تصنيف العلوم بين الفارابي وابن خلدون ، الدكتور محمد علي أبو ريان، ، بحث بمجلة عالم الفكر، الكويت، المجلد التاسع، العدد الأول، ١٩٧٨م .

١٩- تفسير الرازي،(مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير)، فخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بـ(خطيب الري) (ت٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣ ،١٤٢٠هـ .

٢٠- تفصيلاً المقصود بتصنيف العلوم: الدكتور جلال موسى، منهج البحث العلمي عند العرب، في مجال العلوم الطبيعية والكونية، دار الكتاب اللبناني بيروت، ط١، ١٩٧٣م.

٢١- مهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية، مصطفى عبد الرازق، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة،١٣٦٣هـ/١٩٤٤م.

٢٢- درء تعارض العقل والنقل، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت٧٢٨هـ)، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، جامعة محمد بن سعود الإسلامية، السعودية، ط٢ ،١٤١١هـ/١٩٩١م.

٢٣- رسالة مطبوعة محققة منها، وذكر أكثرها أبو القاسم الأصبهاني (ت:٥٣٥هـ) في كتابه(الحجة في بيان المحجة)، ١٤١١هـ/١٩٩١ .

٢٤- سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي(ت٧٨٤هـ)، ،طبعة مؤسسة الرسالة،١٩٨٩م.

٢٥- شرح المقاصد، سعد الدين التفتازاني، دار الكتب العلمية، بيروت، سنة،١٩٨٩م.

٢٦- لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، محمد بن أحمد السفاريني الحنبلي (ت١١٨٨هـ)، مؤسسة الخافقين، دمشق، ط٢ ،١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .

٢٧- شرح المواقف ، عضد الدين الإيجي، ت٧٥٦هـ)،عالم الكتب، بيروت، بلا طبعة، ١٩٩٣م .

٢٨- الصحاح تاج اللغة، ابو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت: ٣٩٣هـ) تحقيق، أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروتط٤، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م.

٢٩- صحيح البخاري،(الجامع المسند الصحيح المختصر) ، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي(ت٢٥٦هـ) ، تحقيق، حمد بن زهير ناصر الناصر، ترقيم: فؤاد عبد الباقي، تعليقات، د. مصطفى ديب البغا، دار طوق النجاة، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ .

٣٠- صحيح مسلم ، مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، تحقيق، نظر بن محمد الفاريابي أبو قتيبة ، دار طيبة، سنة،١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.

٣١- ضحى الإسلام ، أحمد أمين ، مكتبة النهضة العربية،ط٧، بلا تاريخ.

٣٢- علم الكلام وبعض مشكلاته، الدكتور أبو الوفا الغنيمي التفتازاني، دار الكتاب اللبناني، بيروت١٩٧٢م.

٣٣- أصالة علم الكلام ، د. محمد صالح محمد سعيد، دار الثقافة، القاهرة، بلا طبعة .

٣٤- علم الكلام ومدارسه ، د. فيصل بدير عون، دار الثقافة، القاهرة، بلا طبعة وتاريخ.

٣٥- الفرق الكلامية الإسلامية مدخل ودراسة، د. علي عبد الفتاح المغربي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٢، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

٣٦- الفرق الكلامية، علي عبد الفتاح المغربي، مكتبة وهبة، ١٤١٥-١٩٩٥، ط٢، ١٩٩٩م.

٣٧- الفرق بين الفرق، أبو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي التميمي الإسفراييني(ت٤٢٩هـ)، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط٢ ،١٩٧٧م.

٣٨- الفقه الأبسط (مطبوع مع العالم والتعلم، ورسالة أبي حنيفة إلى أبي عثمان البَتِّي) أبو حنيفة النعمان(ت:١٥٠هـ)، تحقيق: زاهد الكوثري، مطبعة الأنوار، القاهرة، بلا طبعة، ١٣٦٨هـ.

٣٩- في الفلسفة الإسلامية (منهج وتطبيق)، د. ابراهيم مكدور، دار المعارف، القاهرة، ط٢، بلا تاريخ.

٤٠- في علم الكلام (المعتزلة) ، د. أحمد محمود صبحي، دار النهضة العربية، بيروت، ط٥، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .